

الحوار مع الآخر

كل منذاً على تحسين صورته في ذهن الطرف الآخر. أشار الأستاذ «مايور» إلى الحوار بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية، على كلا هذين الجانبين أن يحسن صورته في ذهن الآخر، وأن يثبت للآخر أنّه لا يريد له إلاّ الخير، وإلاّ بقي التنافر والنزاع. هذه هي الحقيقة التي اكدتها السيدة نيكلسون، لكنني أضيف أنّ السلام المطلوب يجب أن يكون سلاماً عادلاً، وإلاّ فليس من العدالة أن نهجم شعباً هجوماً ثقافياً، ثم نمنعه من حقه في الدفاع بحجة أنّ عمله هذا يخالف السلام، وأنّه عمل إرهابي... إلى آخره. العدالة أيضاً هي نداء الوجدان ونداء المشتركات الإنسانية، عندما يقول القرآن: (و ان جنحوا للسلم فاجنح لها) [232] ويقول أيضاً: (اعدلوا هو أقرب للتقوى) [233]. فان العدالة مهمة في هذا المجال. اعود فأؤكد: إنّنا إذا آمنّا بخصائص مشتركة للإنسان استطعنا أن ننقذ مفاهيمنا من الإبهام – كما يقول الشاعر الإسباني الذي أشار إليه السيد (مايور) – هناك مصطلحات نطرحها: العدالة، الحق، الإنسانية، الأخلاق، المعرفة، هذه الأمور كلها لاتستطيع أن تمتلك معنى، وتخلص من براهين الإبهام، إذا آمنّا بوجود الفطرة الإنسانية والمشاركات الإنسانية. علينا إذا أن نفكر في كمال الإنسان وقيمته، وعلينا أن نخرج هذا العالم من الفوضى الفكرية والتحميل الفكري. أقول لكم – وكثير منكم ربما لم يسمع هذه الآية من القرآن – واجه النبي محمد (صلى الله عليه وآله) التهم، كانوا – من كل مكان – يقولون له أنت مجنون، مجنون. في هذا الجو الفوضوي ماذا يفعل الإنسان الذكي؟ عليه أن يبتكر، كما يقول السيد مايور – هنا ليس المجال مجال منطق واستدلال – كان القرآن يقول له: (قل إنّما أعظكم بواحدة أن تقوموا مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) [234] أخرجوا من هذه الفوضى العقلية، ويؤسفني في ختام حديثي هذا أن أقول أنّ ثقافتنا العالمية مبتلاة بأمر ثلاثة تحطمها، الأمر الأوّل: المصالح